عدد ٢٤ السنة الثانية

المنار

١٣١٥

مصر في يوم السبت ٣٠ جمادى الاخرة سنة ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩

﴿ الفرصتان ﴾

من المجمع عليه ان المسلمين في هذه الازمنة متأخرون عن جميع الامم في حياتهم الاجتماعية فما من ملة من الملل الا وقد سبقتهم اما في بسطة المال وسعة الرزق وخفض العيش فقط كاليهود واما في هذا وفي العزة والسيادة وقوة السلطان وسطوة الملك ايضا . ومن المجمع عليه ان الامة في أشد الحاجة الى اصلاح يحفظ لها مابقي لها من تراث أسلافها ويؤهلها لاسترداد ماسلب منه . ولا ريب في ان هذا الاصلاح اذا قامت به الحكومات والامة معاً يكون أقرب حصولا وأتم فائدة وأدنى لازالة المرض واصابة الغرض . وانه لولا قدرة الحكومات على حمل الامة على ماتريد منها طوعا أو كرهاً لما كان يتأتى الاصلاح من قبلها . ولولا ان صلاح الامة يستلزم صلاح الحكومة لما كان اصلاحها كافيا لبلوغ الغاية التي تقصد منه . أما وجه اللزوم فظاهر وهو ان الحكام افراد من الامة تختارهم هي لادارة نظامها وتنفيذ أحكام شريعتها والصالح لايختار الا مثله (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) . ولكن الاصلاح اذا بدا

في الامة دون الحكومة فانما يتعدى اثره للحكومة بعد زمن طويل واذا بدا في الحكومة أولا يظهر أمره في الامة في وقت قريب لما مررت به من التعليل. فوجب على المطالبين بالاصلاح ان يستصرخوا الحكومة والامة معاً عسى ان تلبي الدعوة احداهما أو كلتاهما ولكن كثيراً من المتنبهين لوجوب الاصلاح يائسون منه لما يرونه من تقدم أوربا السريع. وتأخر شرقنا المريع. بل موته الذريع. وأعني بموته قيام الغربيين باعماله. واستئثارهم باموواله. وذهابهم باستقلاله. وما كان لمؤمن ان ييأس. انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون. فكم سنحت لنا الفرص وما انتهزناها. وكم نادتنا النهز وما لبيناها. وقد قلنا في المنار الماضي ان امامنا الآن فرصتين للاصلاح احداهما في مصر وهي العلمية الدينية والثانية في بلاد الدولة العلية وهي السياسية الادارية. واننا مبينون هاتين الفرصتين في هذه المقالة بعض البيان

أما التي في مصر فحرية التعليم والتصنيف والتحرير والطبع والنشر والخطابة وتأليف الجمعيات بانواعها وهذه هي سلاليم الترقي التي ترتقي فيها الامم. ولا يوجد تحت السماء بلاد اسلامية متمتعة بتمام الحرية فيها كالبلاد المصرية والسبب في هذا ظاهر فان فقد الحرية في مثل هذه الامور النافعة انما يكون من فساد الاحكام واستبداد الحكام. وزمام السلطة في هذه البلاد بايدي المحتلين وقد اقتضت سياستهم ان لا يتعرضوا لهذه الامور اما لانهم لا يشاؤن التعرض لها كرماً منهم وفضلا على خلاف ما يفعلون هم وسائر الاوربيين في كل بلاد تنفذ فيها شوكتهم وتعلو كلمتهم واما لان حكمة التدريج الذي يسيرون فيه اقتضت ان يبدأوا بالاعمال المالية والادارية والسياسية ويكتفوا من الامور المعنوية بادارة المدارس الاميرية على محور سياستهم واما الاسباب

اخرى . ومهما كان من السبب فان هذه الحرية فرصة تغتنم . فاذا فرطنا فيها ندمنا حيث لا ينفعنا الندم . اذ ربما تأتي ايام نحاسب فيها على خطرات القلوب وهواجس النفوس . ونجبر على التعليم الذي يراد ونمنع من التعليم الذي نريده .

واما انتهاز هذه الفرصة فباصلاح التعليم في الازهر الشريف وبالاجتهاد بتعميم المدارس الاهلية على الوجه المرضي . ولا مجال هنا لبيان الاصلاح الازهري فان لجنة من اكابر علمائه تبحث في هذه الايام بطرق هذا الاصلاح فنرجئ الكلام فيه الى ان تفرغ من بحثها ونعلم ماتقرره فاما ثناء وتحبيذا . واما انتقادا وتفنيدا . واظهر الدلائل على فساد طريقة التعليم المتبعة فيه من قبل ان الكثيرين أو الاكثرين من الذين يمتحنون للتدريس يجرحون فلا يمنحون درجة من درجات التدريس على مافي الامتحان من السهولة وما منهم الا من يقضي خمس عشرة سنة في التعليم على الاقل . على ان الذين يمنحون شهادة العالمية ويؤذن لهم بالتدريس لا يوجد واحد في المائة منهم يحسن لغة الدين قولا وكتابة بحيث يقدر على الكلام والخطابة باللغة العربية الصحيحة ويكتب بالاسلوب العربي البليغ . ولا يعقل ان احداً يفهم القرآن والحديث اللذين هما ينبوعا الدين من غير ان تكون ملكة اللغة راسخة في نفسه . ولذلك ماورد احد من علماء المسلمين وغيرهم الى هذه الديار واختبر تعليم الازهر الا وذمه وقال انه لا يرجى منه خير للمسلمين . فالاستاذ الشنقيطي من علماء المغرب والاستاذ الشيخ شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في كلية عليكده في الهند والاستاذ الشيخ احمد جان القازاني مدرس العلوم العربية في مدرسة عالمجان في بلاد قزان الروسية اتفقت كلمتهم مع اختلاف اقطارهم على ان التعليم الازهري لا يرجى منه خير للمسلمين اذا بقي على حاله

وامثالهم كثير ولا حاجة الاستشهاد بكلام الافرنج لان قومنا لا يقيسون لكلامهم وزناً ويرجعون من يعبأ بكلامهم بأسوأ الظنون. ولا ننكر ان تعليم الازهر على علاته وجموده خير من عدمه بالكلية . كيف وقد حفظ لنا بعض علومنا وآثار سلفنا حفظاً يحمد عليه وان كان ناقصاً لا يبعث على العمل الذي تحيا به الامة ؛ ولا يرجى ان تفيض الحياة الملية على الامة الا اذا صار المتخرجون منه مختلفين لوظيفتهم التي أنشئ الازهر ووقفت عليه الاوقاف لاجلها وهي حفظ الدين ولغته بحيث يقدرون على القيام بمنصب القضاء الشرعي على الوجه الصحيح العادل الذي لا يثلم به شرف الملة والامة وعلى ارشاد الخاصة والعامة والتعليم في المدارس النظامية ليبثوا الدين في جميع طبقات الامة ويخاطبوا كل انسان على قدر عقله وعلمه ويدفعون عنه الشبهات العصرية. ولن يقدروا على شيء من هذا الا بتغيير اساليب التعليم وبالاطلاع على احوال العصر وفنونه المتداولة ولو في الجملة وسنفصل ذلك في وقته ان شاء الله تعالى

وأما فرصة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا فانكلترا وسائر دول أوربا الكبرى عنها بالمسألة الصينية وانما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي محو اسمها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى أو من اتفاق أوربا على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنها بالطمع في الصين الفيحاء البعيدة الارجاء ان هذه الدولة قد عزمت على تعزيز الخط الحديدي العظيم الذي انشأته في سيبريا (وطوله ٤٦٩٥ ميلا) بخط آخر ينشط من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقي للصين ممتدا الى صينا وآرثر وينوشوتم ويقرب ان تمد من

هذه الى بكين عاصمة الصين . ويقدر المال اللازم لهذا النشاط بعشرين مليون جنيه كما قدر المال اللازم لطريق سيبريا الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مدّ عليه خط واحد . وانها قررت انفاق ٩ ملايين جنيه لتعزيز أسطولها بالبوارج من الطراز الجديد . فخمسة وثمانون مليونا من الجنيهات من دولة لاتمد من الدول الغنية ليس الا لتلك الغنيمة الكبرى التي تتوقعها في الصين ويؤكد ذلك تقوية الاسطول مع امنها على ثغورها في أوربا من الدول البحرية وعلمها بان اليابان لاتقدم على محاربتها فتخاف منها على فلاديفوستوك وميناء آرثر ولا يخشى على هاتين الحاضرتين من غير اليابان . هذا — ولا بد لانكلترا وفرنسا والمانيا من مزاحمة روسيا ولا بد ان تمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة . فيجب على الدولة العلية ان تشتغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها فقد مضى عليها نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد بينا رأينا في الاصلاح الواجب من قبل في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤيد وأهمها تعميم التعليم العسكري وتقوية الاسطول ومساعدة الرعية على تعميم المعارف وانتقاء العمّال والحكام من الاكفاء والدولة العلية وسلطانها الاعظم ايده الله تعالى أعلم منا بما ينبغي ويجب من ذلك

وقد وجه مولانا الخليفة أنظاره في هذه الايام الى هذا الامر المهم فتعلقت ارادته السنية بزيادة الجيش لاسيما الألايات الحميدية وأمر من عهد قريب بانشاء بارجتين جديدتين ويخت سلطاني وباصلاح بعض السفن القديمة كما أمر بانشاء المكاتب والمدارس في بلاد اليمن وغيرها من الولايات المحروسة ونسأل الله تعالى ان يلهم قلبه الشريف ان يصدر ارادته بجمع الولاة

بترغيب الرعية في تأليف الشركات المالية وانشاء المدارس الوطنية ولجميع الفيالق العسكرية بتعميم التعليم العسكري وبالله التوفيق

باب التربية والتعليم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٨) من اراسم الى هيلانه في ١٦ يناير سنة ـ ١٨٥

أكتب اليك هذا وقد استيقظت في الساعة السادسة من صباح اليوم وعلمت ان عشرين مسجونا أنا منهم قد فصلوا لارسالهم الى سجن ... وبلغني ان أمر نقلنا وصل الى هنا ليلا من باريس فلم يكن لي من وسيلة لاحاطتك علماً بهذا الخبر قبل الآن ولم يبق لي أمل في لقائك فان السفر سيكون في الساعة السابعة صباحا. سيصلك هذا المكتوب وأنا في طريق الى الجزيرة التي جعلت مقراً لي فأودعك وداع محب ثابت على عهده لا يثنيه عن حبك اعتراض الحوائل ولا يلويه عن ذكرك تطويح المطاوح.

غرام على يأس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقربه

(٩) من هيلانه الى اراسم في ١٧ يناير سنة ـ ١٨٥

جئت اليوم الى السجن لزيارتك فمثل لنفسك ماعراني من هزة الطرب ونشوة الفرح لما علمت بانك أخرجت منه. ما كان أبعدني عن العقل وأقربني من الجنون في تلك الساعة اذ ظننت انك فزت برجوع نعمة الحرية اليك. لكن لم يلبث كاتب سر السجن ان أبان لي خطائي اذ أخبرني بانك قد وجّهت (هكذا عبارته) الى جزيرة ... واني سأتبعك قاطعة أجواز البحار. مقتحمة في سبيل القرب منك جميع الاخطار. فأينما تكن وان في آخر الدنيا فلا بدّ لي